بسم الله الرحمن الرحيم

حكم أخذ الجنسية من دول الكفر

تأليف

الشيخ أبي مريم عبد الرحمن بن طلاع المخلف

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

هذا السؤال مركب من عدة أسئلة بل و نفس السؤال يبنى على أمور يجـــب التنبيـــه عليها قبل الإجابة على هذا السؤال و هي مسائل مهمة جدا .

المسألة الأولى : مسألة أخذ الجنسية من الدول الأوربية أو الإقامة فقد بلغـــني عن عدة من الإخوة الثقات بأن من يريد أخذ الجنسية فإنه يلزم بتعهدات و موافقات لهم على دينهم الباطل . فإن المسلم مأمور بإظهار الكفر بالطاغوت و البراءة منـــه و من أهله فإن لم يستطع ذلك فهو معذور غير مأزور و أما إن كان قادرا على إظهـــار البراءة و لم يتبرأ منهم فهذا مأزور غير معذور و لكن لا يخرج من الإسلام إذا ثبـــت بغضه باطنا لهم و عدم موافقته لهم ظاهرا سواء بالقول أو بالفعل .

أما من أظهر لهم الموافقة على كفرهم فهذه حال أخرى غير الحالتين السابقتين فهذا جمع بين عدم إظهار البراءة منهم مع إظهار الموافقة و مثل هذا يكفر إلا أن يكون مكرها

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (الثالثة : أن الذي يكفر به المسلم، ليس هو عقيدة القلب خاصة، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه صـــلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم، بل إذا أطا ع المسلم من أشار عليه بموافقتـــهم لأجل ماله، أو بلده، أو أهله، مع كونه يعرف

كفرهم، ويبغضهم، فهذا كافر، إلا من أكره.)

قال بعض علماء الدعوة النجدية (ومما تقدم من الآيات، والأحاديث، وأقوال العلماء، يتبين أنه يجب على المؤمنين إظهار العداوة للكفار والمشركين، والبراءة منـــهم والبعد عنهم؛ وأن ذلك هو حقيقة الإسلام.

ويتبين أن المسلم إذا والى المشركين وأطاعهم، ووافقهم على رغبتهم، لأجـــل مال أو غيره، من غير إكراه، أنه كافر، ولو كان يعرف كفرهم ويبغضهم .) .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله (الحال الثالثة:

أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين :

أحدهما : أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم، مع ضربهم أو تقييـــدهم لـــه، أو يتهددونه بالقتل، فيقولون له: إما أن توافقنا و تظهر الإنقياد لنا، و إلا قتلناك. فإنـــه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئن بالإيمان ، كما جـــرى لعمار حين أنزل الله تعالى:

﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾

وكما قال تعالى:

﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾

فإن الآيتين متفقتين، كما نبه على ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران.

الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو لـــيس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال، أو مشحة بوطن، أو عيال، أو خوف مما يحدث في المآل . فإنه في هذه الحال يكون مرتدا، ولا تنفعـــه كراهتـــه في الباطن، وهو ممن قال الله فيه :

﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾

فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل بالحق أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظا من حظوظ الدنيا ، فآثروه على الدين. هذا معنى كلام شيخ الإســـلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وأما ما يعتقده كثيرا من الناس عذرا، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفا لا حقيقة له، ظن أنه يجوز له بذلك إظهـــار الموافقة للمشركين ، الانقياد لهم.

وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعا دنيويا، تخيل أنه يجوز له موافقة المشركين لأجل ذلك، وشبه على الجهال أنه مكره. وقد ذكر العلماء صفة الإكراه.)
.

و أما الوقوع بالكفر مع عدم تحقق الإكراه فلا يعذر من وقع فيه فمن خشي أن يرجع إلى بلده و لم يرجع إلى الآن و لو رجع قد يسجن أو يعذب فمتى ما لم يتحقق الإكراه فلا يجوز له التكلم بالكفر لأن الإكراه لا يتحقق عند الوقوع به أما من وقع بالكفر و لم يتحقق الإكراه و إنما الإكراه يكون بالمآل لا في الحال فهذا قد وقع في الكفر قبل تحقق الإكراه و يكون بهذا مرتد و إن ظن أنه بهذا مكرها قال ابن كثير رحمه الله (قد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم, فوافقهم على ذلك مكرهاً, وجاء معتذراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله هذه الآية. وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك, وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى, حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري, عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف تجد قلبك ؟» قال: مطمئناً بالإيمان. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن عادوا فعد» ورواه البيهقي بأبسط من ذلك, وفيه أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم, وذكر آلهتهم بخير, فشكا ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير, قال: «كيف تجد قلبك ؟» قال: مطمئناً بالإيمان, فقال «إن عادوا فعد», وفي ذلك أنزل الله

﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾

ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته, ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل,) .

قال ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث (في سنده ضعف أيضا وأخرج عبد بن حميد من طريق بن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عمار بن ياسر وهو يبكي فجعل يمسح الدموع عنه ويقول أخذك المشركون فغطوك في الماء حتى قلت لهم كذا إن عادوا فعد ورجاله ثقات مع إرساله أيضا وهذه المراسيل تقوي بعضها ببعض)

فدل قول النبي صلى الله عليه و سلم لعمار («إن عادوا فعد») أنه قبل الإكراه لا يجوز لك التكلم بالكفر فإن عادوا إلى الإكراه عد إلى التكلم بالكفر فلا يجوز التكلم بالكفر قبل الإكراه كمن ظن أنه إذا أرجع إلى بلده سوف يسجن أو يعذب فيجوز لنفسه الكفر قبل الوقوع بالإكراه أو يجيز لنفسه الموافقة على التزام قوانين الكفار و هو يعلم أنها من الكفر للحصول على جنسية الدولة الكافرة خوفا من أن يرجع إلى بلده فيسجن أو يعذب و الإكراه لم يقع عليه فمثل هذا لا يعذر بهذا الظن و الخوف فإن الله تعالى لم يعذر من قاتله الكفار من أجل تغيير دينه و لم يجعل هذا الخوف عذرا له مع أن هذا الخوف متحقق و لكن لما لم يبلغ حد الإكراه لم يكن عذرا في الموافقة على الكفر و لو باللسان دون الجنان بل حكم الله تعالى عليه بالكفر إن وافقهم على دينهم بسبب مقاتلتهم له قال تعالى

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[البقرة : 217]

فإن المقاتلة من أشد الخوف قال تعالى

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴾
[الأحزاب : 19]

و المراد بالخوف هنا قتال الكفار للمسلمين قال ابن كثير رحمه الله (إذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي من شدة خوفه وجزعه, وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال

﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾

أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً, وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة, وهم يكذبون في ذلك, وقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿سلقوكم﴾ أي استقبلوكم. وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة : أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم, وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق, وهم مع ذلك أشحة على الخير, أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير .)

و قال تعالى

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾
[قريش : 4]

و فسر أهل العلم الخوف هنا بجيش أبرهة عندما جاء ليهدم الكعبة .

و قال تعالى

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾
[يونس : 83]

فلم يكن خوف هؤلاء المؤمنون عذرا لهم لو أنهم وافقوا فرعون على دينه من غير إكراه لذا أمر موسى من آمن معه بالصبر و الثبات و عدم موافقة الكفار مع تحقق هذا الخوف قال تعالى

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
[الأعراف : 128]

و لو أنهم وافقوا الكفار على دينهم و لو ظاهرا بسبب تحقق الخوف لم يصبروا لأن الله تعالى يورث الأرض لمن أظهر دينه و صدع به و صبر على ذلك أما من كتم دينه حتى لو لم يوافق الكفار على دينهم فلا يمكن أن يظهر بمثل هذا النوع الدين أبدا لأن وراثة الأرض لا تحقق إلا بطائفة تظهر دينها و تصبر على ذلك و تجتمع عليه أما من كتم دينه فإنه ظاهرا يكون من الكفار كما قال تعالى

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾
[غافر : 28]

فكيف لو أظهر لهم أنه منهم و وافقهم على دينهم بسبب الخوف بل لو كان مكرها كما قلنا بمثل هذا النوع لا يمكن أن يظهر الدين و لا يظهر إلا بالصبر و التحمل و الثبات على هذا الدين .

كما قال تعالى

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور : 55]

فهم لما حافظوا على دينهم مع الخوف بدلهم الله تعالى من بعد الخوف أمنا أما لو وافقوا الكفار على دينهم بسبب الخوف و لم يكرهوا لم يستحقوا أن يمكن الله تعالى لهم في الأرض و يبدل خوفهم أمنا و هذا مما يؤخذ على كثير ممن ينتسب لدعوة التوحيد و الجهاد فإنهم إذا خافوا من المرتدين لجأوا إلى دول الكفار الأصليين و إن تكلموا بالكفر من غير إكراه و الحقيقة أنهم لم يهاجروا إلى دول الغرب خاصة إلا لدنياهم لا لدينهم فلو هاجروا لدينهم لما وافقوا على موافقة الكفار على دينهم و قوانينهم من غير إكراه و للجأوا إلى دول أخرى و إن كانت فقيرة لا يلتزمون فيها بالكفر و يصدعون بالحق و يظهرون دينهم أما دول إذا طلبت اللجوء أو الجنسية ألزموك بالموافقة على كفرهم و أنهم لا يقبلونك في دولتهم حتى تقسم على احترام كفرهم أو يطالبونك بالالتزام به و قد ذكر لي أكثر من أخ أن هناك قسم خاص لهذه الدول لمن يريد جنسية هذه الدول في أوربا فمنه ما يتضمن احترام قوانين الدولة و عدم مخالفتها و منه ما هو احترام للديمقراطية التي تحكم بها و غيرها من أنواع الكفر و مثل هذا لا يقبل به مسلم أبدا و من هذه الأقسام ما نقله لي احد الإخوة الذين يعيشون في أوربا و صيغة القسم هي (إني أتعهد أن أكون مواطنا وفيّا للجمهورية الفلانية وأن أراعي قوانينها دوماً بعناية وأن أتفادى كل ما يتعارض مع مصالح الجمهورية وسمعتها.) .

و تعهد آخر (تعهد ولاء: إني أعترف وأقر بالنظام الديمقراطي الليبرالي المنصوص عليه في دستور الجمهورية الفلانية وخصوصا أقر (باختصار غير مخل):

- بحق الشعب في انتخاب المشرعين
- بربط التشريع بالنظام الدستوري
- بحق إنشاء المعارضة البرلمانية
- بمسؤولية الحكومة أمام نواب الشعب
- باستقلالية المحاكم

بحقوق الإنسان المنصوص عليها في الدستور) .

فهل يقبل مسلم يعرف حقيقة الإسلام بالموافقة على هذا الكفر من غير إكراه و هل هذا إلا عين الموالاة التي حكم الله تعالى بكفر من وقع فيها كما قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
[المائدة : 51]

و قال تعالى

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾
[الحشر : 11]

فحكم الله تعالى بكفر من وافق الكفار و لو بلسانه ممن ينتسب للإسلام عندما قالوا لهم لإن أخرجتم لنخرجن معك و ننصركم على المسلمين و لا نخرج عن دينكم و شرعكم و شهد الله تعالى أنهم كاذبون بهذا القول و أنه لا يعدو أن يكون مجرد كلام لا يترجم إلى فعل لذا قال تعالى في الآية التي بعدها

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾
[الحشر : 12]

و قد بينا أن المسلم الموحد يجب عليه إظهار البراءة من الكفار و عداوهم كما قال تعالى

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
[الممتحنة : 4]

و بينا أن من لم يستطع إظهار البراءة مع عدم القدرة فهو معذور و من لم يظهر البراءة مع قدرته فهو مأزور و لا يكفر و لكن لا يجوز له إظهار موالاة الكفار لا لفظا و لا خطا و من أظهر الموافقة للكفار فهو كافر بإجماع العلماء .

و الصحابة رضوان الله عليهم هاجروا من مكة إلى الحبشة لما خافوا على أنفسهم الوقوع في الكفر و فتنة الكفار لهم عن دينهم و لم ينظر الصحابة عندما هاجروا أهم سيفارقون أهلهم و وطنهم و مالهم بل نظروا إلى المحافظة على دينهم قبل كل شيء فإذا تحقق هذا الأصل ينظر المسلم بعدها إلى ما يصلح معاشه و لا يصلح معاشه بضياع دينه أبدا كما يحدث لكثير من الشباب اليوم يهاجر إلى دول أوربا و هو يعلم أنه إذا دخل سوف يقسم على احترام كفرهم و سوف يلزمونه بقوانينهم و لو توفر له دولة أخرى فقيرة يهاجر إليها كدول أفريقيا مثلا سلطة القانون فيها ضعيفة و لا يلزمون بقوانينهم و يستطيع المسلم إظهار دينه و الصدع بالحق و الدعوة إليه و يستطيع كذلك التخلص من قوانينهم بطريقة أو أخرى تجده يهاجر إلى دول أوربا لا

لأنه كما يدعي أنهم يعطونه الحرية في الكلام و إظهار دينه و لكن من أجل أنهـا دول غنية يستطيع أن يعيش فيها أفضل من دولته الأصلية و تغاضي عن جانـب عظـيم موجود في دول أوربا و هو أن سلطة قوانين الكفر فيها قوية يصعب التفلت منها فهي من جانب لعلها تتيح لك بعض الحرية و لكنها تلزمك بأعظم من هذه الحرية و هـو الكفر البواح فإن الصدع بالحق واجب و يسقط مع عدم القدرة و لا يكفر مع القدرة و إنما يأثم و أما الموافقة على الكفر فلا يعذر فيها إلا بالإكراه فلو أنهـم هـاجروا إلى دولة لا يلتزمون بها بإظهار الكفر و الموافقة عليه مع عدم قدرتهم على إظهار الدين و الصدع به خير من هجرتهم إلى دار يظهرون به بعض إسلامهم و يكفـرون بـالبعض الآخر من غير إكراه قال تعالى

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة : 85]

فتأمل قواعد الإسلام و أصوله و تأمل كيف يحافظ على دين المسلم و يحميه و لكن إن كان هناك تقصير إنما يكون من نفس المسلم لا من دين الله تعالى فيلجـأ إلى أمور ليحافظ به على دنياه و يتذرع بالدين و يظن أن الله تعالى لا يعلم ذلك

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾

[الإسراء : 25]

فهم يخادعون الله تعالى و هو خادعهم

﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
[البقرة : 9]

فلا يجوز الموافقة على الكفر من غير إكراه فيجب على الإخوة المحافظة على دينهم تمام المحافظة حتى لو هاجروا من أجل المحافظة على دينهم و إن كانت هذه الهجرة فيها نقص لدنياهم فإن الله تعالى يقول

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾
[النساء : 100]

قال ابن كثير رحمه الله (وقوله:

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾

, هذا تحريض على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه, والمراغم مصدر تقول العرب: راغم فلان قومه مراغماً ومراغمة, قال النابغة بن جعدة:

كطود يلاذ بأركانه ****عزيز المراغم والمهرب

وقال ابن عباس: المراغم التحول من أرض إلى أرض. وكذا روي عن الضحاك والربيع بن أنس والثوري. وقال مجاهد: ﴿مراغماً كثيراً﴾ يعني متزحزحاً عما يكره. وقال سفيان بن عيينة: مراغماً كثيراً يعني بروجاً, والظاهر ــ والله أعلم ــ أنه المنع الذي يُتحصّن به ويراغم به الأعداء. قوله ﴿وسعة﴾ يعني الرزق, قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال: في قوله:

﴿يجد في الأرض مراغماً كثيرة وسعة﴾

أي من الضلالة إلى الهدى, ومن القلة إلى الغنى,) .

فمن أقسم و تعهد لهؤلاء الكفار بمثل هذه التعهدات الكفرية فعليه أن يتوب إلى الله تعالى و يجدد إسلامه قبل أن يأتيه الموت و عندها لات حين مندم و لات حين مناص فلا مناص من العذاب و لا ينفع الندم حينها و لا ينفعك أن بعض أهل العلم أفتاك بهذا

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾
[النور : 54]

و قال

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾
[الأحزاب : 67]

و قال

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾
[البقرة : 167]

فكل إنسان يعامله الله تعالى بما في قلبه لا بما يقول فإن الله تعالى يعلم السر و أخفى

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾
[ق : 16]

و يعلم الصادق من الكاذب و في الحديث الصحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ». وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ.
و قال تعالى

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾
[الإسراء : 84]

و قال أهل العلم شاكلته : نيته .
لذا كل من أقسم و تعهد على هذا الكفر من غير إكراه فهو كافر يجب عليه أن يتوب و يرجع إلى الإسلام و يتبرأ من هذا الكفر و يظهر ذلك و يبينه قال تعالى

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
[البقرة : 160]

و قال

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾
[النساء :146]